طفل في رحم الزمان

طفل في رحم الزمان
شعر
محمود جمعة
الطبعة الأولى : ٢٠١٥

دار الحلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف - من شارع مؤسسة الزكاة - المرج - القاهرة
موبايل : ٠١١٤١٨٢٤٥٦٢
dar_el7elm@hotmail.com
المدير العام : د.إسلام فتحى

تصميم الغلاف : محمد عبد السلام (ريديش ديزاين)
إخراج داخلي : الحلم للدعاية والإعلان

رقم الإيداع : ٢٠١٤/٦٥٥٥
رقم الترقيم الدولي : 978-977-6412-76-7

إن دار الحلم للنشر والتوزيع، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

محمود جمعة

طفل
في رحم الزمان

الفهرس

عاشقان فوق الغمام

٥ الحب كم هو !
١٧ وجه القمر
٢٣ عاشقان فوق الغمام
٢٩ هل أكون مذنبًا
٣٣ قصيدة بعينها عن عينيها
٣٩ حنين وكبرياء
٤٥ إياك والقلب

وطن ضائع

٤٩ رؤيا عن مصر
٦١ وطن ضائع

طفل في رحم الزمان

٦٥ طفل في رحم الزمان
٦٩ ظاهرة طبيعية
٧٥ رسالة من خلف القضبان

عابر سبيل

٨٥ أحياء أموات
٩١ عابر سبيل

نلتقي بعد قليل

٩٧ أسدل الستار
١٠١ انتهى كل شيء
١٠٥ نلتقي بعد قليل
١٠٩ وصية

عَاشِقَانْ فوقَ الغَمامْ

الحبُّ: كَمْ هُوَ!

الحبُ: كم هو حياةْ!
(الحبُ: حياةُ المُحِبْ)
خلودٌ فى دنيا العَدَمْ،
أرضٌ: من حريرٍ وريشِ نعامْ
وسماءٌ: من ليلكِ ورخامْ
وإلهٌ من التوليبِ، يُعَذِّبُه
وإلهُ الحبِ لا ينامْ!

الحبُ: كم هو موتْ!
موتٌ يخلعُ هويَّته عند بابِ القلب
ليصيرَ موتا من نوعٍ آخر
موتا نستلذُّ بقسوته
بسِكِّينِهِ الباردة
يقتلُ ولا يُميت ..
هو موتٌ حىّ
يسكُنُنا .. ونسكنُه
ويحيانا .. ونحياه
يُحيلُ القلبَ من قبرٍ إلى جنةٍ
ويجعلُ الشوقَ شاهدةْ!

الحبُ: كم هو جحيمْ!
(الحب: جحيمٌ فردوسيُّ البناء، أنثوىُّ البَهاء)
يعبدُ رائحةَ النارِ فى الصدرِ، تحرقُه
دونَ أنْ يصبحَ هشيما
من دخانٍ ورمادْ!

الحبُ: كم هو لحنْ!
(الحبُ: أغنيةُ المحبْ)
لحنٌ خفىّ على نايٍ عاقرٍ، يصنعُ
أوتارَه من خيوطِ القمرِ،
حين يتّخذ الليلُ
شكلَ الحنينْ!
(الحنينُ: موسيقى الحبْ)

الحبُ: كم هو لونْ!
لونٌ لا لونَ له، مجازىٌّ كالهواء
شفافٌ كالماء، باطنُه
مرآةٌ لظاهِرِه، وظاهِرُه
مرآةٌ لباطنِ القلبْ:
أبيضٌ .. فأبيضْ
وأسودٌ .. فأسودْ
أمّا الأولُ؛ فمُحِبٌ صادقٌ
يُقدّسُ ملائكيةَ الحب
فى قلبِ امرأة!
وأما الآخرُ؛ فمراهقٌ
يُقدِّسُ امرأة، حفرتْ على قلبه
وهما يشبه الحبْ ..
فأسقطَ كرامتَه تحت قدمِها
وأضاعَ حبَه
حين صَدَّقَ أنه يحبْ!

الحبُ: كم هو ظلْ!
(الحبُ: ظلُ المُحِبِّ)
شوكةٌ في قلبِهِ
(والعاشقُ: ابنُ الحبْ)
كم أحيا الحبُ عُشاقا
وكم قتلْ!

الحبُ: كم هو حربْ!
حربٌ بين عاشقين،
(ليسَ العاشقان إلا عدوّين)
لهما بصمةُ روحٍ واحدة
و أنا واحدة،
يكسبان معا
أو يخسران معا!

الحبُ: كم هو هُويةْ!
(الحبُ: هُويةُ المُحِبِّ)
موهبةٌ فطريةُ الأصلِ
وفطرةٌ إبداعيةُ التكوينْ،
ليسَ الصوابُ أن تسألَ أحدا:
هل تُحِب؟
بل؛ كيف تُحِب؟
لذا؛ تعلّم، قبل أن تحبْ،
كيف تُحب!

الحبُ: كم هو داءْ!
(المُحِبُّ: هو المريضُ بالحبْ)
حين يرسو على برزخٍ،
من شهيةِ أَلمِهِ وذلّةِ لذّتِه،
فلا هو حياةٌ ولا هو موتْ
بل؛ بين بين!
والحبُ: داءٌ روحىّ مُزمِنٌ
له علاماتٌ وأعراضٌ:
أوّلُها: إرتفاعُ درجةِ التحديقِ
فى الأشياءِ
واضحة غامضةْ ..
ورؤيةُ الأشياءِ غيرَها،
وطبعُ الكلامِ على شِفاهٍ صامتة
كأن تُضفى حوارا
على سُكونِ حمامتين، تحطّان
على عُشٍ فى عينِك،
دون أن تسألَ نفسَك:
كيف رأيتَ الكوخَ الصغيرَ
قصرا كبيرا؟
وكيف سمعتَ غيمة تقول لامرأةٍ:
دُلّينى على قلبِكِ، لأصبَّ
نبيذَ الشتاءْ ؟
وكأنْ ترى خيوطَ المَطرِ
جالياتٍ من شقائقِ النُعمان
إذ ترتطم بكفّك قطرةٌ،

يُخيَلُ إليك أنَّها رسالةَ شوقٍ
جاءتك على جناحِ سحابةٍ
من لا أحدْ
فتغسلُ بها عينيك .. وقلبَك ..

ثانيها: أنْ تهيمَ بقُرصِ القمرِ
حين يَسِدلُ أستارَ الليلِ
على قلبِك الآرِقِ، فترى فى الظلام
حبيبين نائمين على سَحابةِ
أفلاطونْ: هما أنتَ, وامرأة،
وَجَدْتَ فى أحضانِها
سريرا لقلبِك،
ووَجَدَتْ، هى، روحَها
فى روحِك!
(المُحِبُّ: طفلُ القمرِ المُدلّلْ)

ثالثُها: أنْ تُحِسَّ بقشعريرةٍ،
تُهَشِّمُ حواسَّك الخمسَ
إلى بضعٍ وخمسين،
حين ترى فراشة تُقبِّلُ ياسمينة
أو حصانا يُمَشِّطُ سبائبَ فرسِهِ
النائمةَ على الغروبِ ..
أو دوريّا يُمهِّدُ السماءَ
لدوريَّةٍ، أرادتْ أن تُجرِّبَ
الحبَ على غيمةٍ زرقاءْ ..

رابعُها: أن يُصِيبَك شغفٌ بالناى،
إذ تسيلُ على جدارِ صدرك
موسيقى، تبدو كما لو أنك
تستحِمّ فى نهرٍ من الكوثرِ
يَسرى بين خيطىِّ ناى ..

خامسُها: أن تكونَ منفيّا، ولستَ بمنفى
إلا لأنّك حين فتّشتَ فى نفسِك،
وجدتَ كوكبا شارِدا، كان يُفتِّشُ
هو الآخرُ، فى نفسِهِ، حين وَجَدَكْ
فأنِسْتَ بهِ فى غُربتِك
واستأنسَ، هو، بوحدتِك!
(الحبُ: منفى المُحِبْ)

سادسُها: أن تصيرَ هشَا دون أن يَكسِرَك
الريحُ أو الضبابُ
أو هديلُ حمامةٍ، تبكى
على غصنِ زيتونْ ..
وقويا ولا تقوى على احتمالِ شوكةٍ
ثقبَتْ قلبَك من دونِ قصدْ ..

سابِعُها: أنْ تشتهى الجلوس،
كما أنا الآن، على مقعدٍ أمام سماءٍ
وهواءٍ وبحرٍ، تتعطّرُ بنسيمِهِ
وتقتلعُ المعانى

من جذورِ قلبِك، لتُرسِلَها
على ورقةٍ بيضاءْ،
تكتب، دون أنْ تعرفَ
ما الذى تكتب أو كيف تكتب،
ففى قلبِك ما يكفى للكتابة
وليسَ فى الكتابةِ
ما يكفى لقلبِك!

ثامنُها: أن ترى كلَ الوجوهِ
وجها واحدا، ترى فيه
كلَ الوجوهْ!
كحسناءٍ، تمشى على شارعٍ
فتمرُّ على شاعرٍ
فى مقهى، يشربُ الليمونَ،
(الليمونُ: حليبُ الحبْ)
تقولُ له: مساءُ الخيرْ!
فيستَلذُّ بصوتِها،
وإذ يسَمِعُ دبيبَ قلبِها فى جَسَدِه
ينسي قلبَه فى جسدِها،
وينحني يُقبِّلُ يَدَها على موعدٍ
مؤجَّلٍ بينهما باللقاء!
ولا تأتِ ..
فتنهالُ عليه القوافى
والمطالعُ، رُطبا جنيّا
ويسألُ نفسَه: هل نَسِيتْ جسدَها

نائما على رصيفِ الحلمِ
حين كنتُ أحلمْ؟
أم سَرَقَ نسيمَها شاعرٌ آخر؟
أم تبدّلَ الوقتُ بغيرِهِ؟
ثم يجد لها ثمَّةَ عذرٍ فى قصيدتِه،
فيقولُ: رُبَّما ساعتى غيَّرتْ أقوالَها
ورتَّبت عقاربَها بطريقةٍ اخرى
فأتَتْ ولم تَجِدْنى!

(الحبُ: داءٌ لا دواءَ لهُ)
داءٌ يقضِمُ القلبَ كقطعةِ حلوى،
لا شفاءَ منهُ،
بل يَزيدُ .. و يُزيدُ العُمرَ
ولا يُنقِصُهُ!
داءٌ له أطوارٌ عديدةٌ
تبدو من فرطِ الاختلافِ متشابهةٌ
بينما هى من فرطِ التشابُهِ مُختلفةٌ
مُدرَّجَةٌ من:
إعجابٍ/ فانجذابٍ/
فميلٍ/ فرَسيسٍ/ فإرادةٍ/
فإلفةٍ/ فودٍ/ فَكمَدٍ/ فوجدٍ/
فحنينٍ/ فشوقٍ/ فشَجْوٍ/
فسَدَمٍ/ فصبوةٍ/ فنشوةٍ/
فلَهَفٍ/ فكلفٍ/
فشَغَفٍ/ فشَعَفٍ/ فدَنَفٍ/

فهوى/ فجوى/
فلَوعةٍ/ فوَلَعٍ/ فوَلَهٍ/
فغرامٍ/ فهيامٍ/
فعشقٍ/ فتتيُّمٍ/
فخِلَّةٍ/ فتعبُّدٍ/ ففناءْ ..
هكذا يسيرُ الحب
هكذا يسيرُ
غارِسَا سيفَه فى أعناقِنا
فنمشي على وَجَعِنا
خفيفا خفيفا
رغمَ الألمِ ورغما عنهُ
ورغما عنا،
كما يمشى الندى
على ورَقةِ أسترٍ بيضاءْ!
(الحبُ: عسلٌ مُسَمَّمْ)

الحبُ، هذا الغيبيُّ الذى
يُسمّى الحبُ، كم هو لغزْ!
مزيجٌ من حياةٍ وموتْ
ضجيجٌ من سكونْ
سحريٌّ كالسَرَابِ،
إنْ اقتربْتَ، ابتعدْ
وإنْ ابتعدْتَ، اقتربْ!
ومهما بلغْتَ من هذا الحبِ،
لن تَعرِفَ كيف يُرادِفُ

فيه الضدُّ ضدَّه؟
كيف يُحيلُ الوحشَ أليفا
والأليفَ وحشيّا؟
وكيف يجعلُ الوهمَ واقعيّا؟
والواقعَ وهميّا؟
كم هو سرىٌّ، غامضٌ وغريبْ!
تعرِفُه ولا تفهمُه
رُبَّما لأنّك لو فَهِمتَه
لن تَعرِفَ نفسَك!
فاحذرْه، واحذرْ غدرَه
كُنْ حريصا ما استطعتْ
ولا تأمَنْ مكرَه،
فكم هو، الحبُ، هاوية!

كم هو هاوية!
ولكلٍ من الحبِ .. نصيبْ! ..

وَجْهُ القَمَرْ

كم أُحبُّ الليلَ حين ينحدرُ،
حينَ يحطُّ، كدوريّ، على كتفي
ويسقينى المجازَ فى كأسٍ
من نبيذِ الحرفِ والحرفِ..
فيُسكِرُنى، أُصابُ بغصَّةٍ
فأشرَقْ، إذْ يمتدُّ المجازُ
فى حَلْقى،
من القاعِ إلى السقفِ!
كم أحبُّ الليلَ حين ينحسرْ
وحين يطفو على وَجهِهِ القمرْ،
يُعَانِقُنى.. أُعانِقُهُ
يُقبِّلُنى.. أُقبِّلُهُ
يغمرُنى بقافيةٍ.. فأكتبُ قصيدة
وأتركُها للقدرْ!

هكذا هو القمر؛ زيتونةُ ضوءٍ
على صَحنٍ من ظلامْ..
هو القمر؛ مرآةُ الحبِ،
وقلعةُ الهيامِ والإلهامْ..
رايةٌ ترقصُ فى ساحةِ الليلِ
على غناءِ غزالةٍ فى الذاكرة..
وغيمةٌ تُغرِقُ واديا
شحيحَ الماءِ والعُشبِ
بالخاطرة..

هو القمر؛ هوايةُ عاشقٍ
تجسيدَ هويّةِ العاشقة!
وشهيَّةُ التأمّلِ والاسترخاءِ
على سِكِّينٍ لذيذِ الوجعِ،
وإدمانِ النومِ بين وتريِّ نايٍ
يحفُران على حريرِ القلبِ
شقائقَ النعمان!
كأنْ يرى المُحِبُّ نفسَه
يقطُفُ النجومَ، نجمة نجمة،
كحبَّاتِ التوتِ
في موسمِ الربيعِ،
ويجمَعُها بأكياسٍ من سَرابْ..
أو يمشي نائما
على بُقعةٍ من سحابْ!
وهو حُمَّى النداءِ
إلى ما يُخبِّئهُ الغيابُ..
هو حبلٌ من خيالْ،
يُعلِّقُ الكواكبَ في أذهانِ الرواةِ،
كالدُمَى، و يحيلُ الذكرياتِ
مُعلَّقاتٍ من الأطلالْ!
هو دربٌ يمتصُّ العابرين،
على وجهِهِ، كالإسفنجِ
ثم ينزفُهُم كعرقٍ نازحٍ
من الخاصرة،
كي يُمهِّدَ للقادمينَ مقاعدَ شاغرة

فى الذاكرة..
هو انعكاسُ الظلِّ على الظلِّ
فى ليالى الغُربةِ الشاردة..
هو رؤيا الصدى،
حين تَكشُطُ السماءَ بإظفرِك
كى تسترئَ ما وراءَ المدى..

هو عاطفةٌ لاإراديةُ التكوينِ،
وإصغاءُ السماءِ لصوتِ الحالمينْ
الصاعدِ على أجنحةِ النسيمِ..
هو الياسمينُ السماويَّ،
ومشاعُ الأنينِ والحنينْ..
وهو لاعبُ نردْ،
برئُ النفسِ كبتولِ الوردْ،
هو وحىٌ بلا قصدْ
وخيلٌ شاردٌ فى سياجِ الغّدْ..
كشاعرٍ يُفَتِّشُ فى نفسِهِ
عن قافيةٍ وبيتْ:
ما زالَ هُنالِكَ خللٌ
فى القصيدةْ،
أريد قصيدة تجعلُ المساءَ
أنقى من اللازوردْ!
أريدُ قصيدة تجعلُ السماءَ أبعدْ
من تلك السماءِ، وأبعدْ
وأبعدْ!

هكذا هو القمر؛ زائرٌ/ ثائرٌ/ عابرٌ/
ساخرٌ/ ساهرٌ/ مـُبهَمُ/
مُضئٌ/ مـُعتِمُ/
مـُضحِكٌ/ مـُبكٍ/ مُتيـَّمُ/
ناقصٌ/ مـُتـمِّمُ/
ساكِنٌ/ أبكَمٌ/ مـُتكلِّمُ/
خاصٌ/ مـُعَمَّمُ/
مـُدلَّلٌ/ مـُلهِمُ/
هو القمر؛ مـُهَرِّجٌ/ مُتَقلِّبٌ/ مُتمَرِّسٌ/
مُتمَرِّدٌ/ مُتَرَدِّدٌ/ مُتعَدِّدٌ/ مُتجَدِّدٌ/
لكنَّه واحدٌ!
هو القمر؛ وجهُ حبيبى
هو القمرْ..
وحبيبى، وجهُ القمرْ! ..

عَاشِقَانْ فَوقَ الغَمَامْ

يقول العاشق: تعالى معى، نرقد معآ فوق الغمام
تقول العاشقة: فلنصعد ياحبيبى على أجنحة الحمام
يُحلِّقُ الحمام،فيحلمان
وفى الحلم يلتقيان!
وقوس قزح يُلوِّنُ السماءَ، ويصعدان
لا صقرا حاقدا يقتل الحمام، فيسقطان
ولا وحيا يسرق الخيالَ من الحلم، فيتيقّظان
ولا قَدَرا طائشا يفقد عقله ويَسُمُّ العاشقين
لا السماء مغلقة النوافذ،
ولا الأرض فاغرةَ الجاذبية
ولاشئ يمنع العاشقيّن عن الحلم!
لا سماء للأحلام، فلنحلم بسماء لا سماء لها يقولان .
ويُحلّقُ الحمام، ويحلمان
ويصعدان .. ويحلمان
ويحلمان .. ويصعدان
وعلى غمامةٍ زرقاء، يهبطان ..
تقول: هانحن ذا لم يَعُد غيرنا فى الوجود،
فلا أمسَ يُرجِعنا إلى ماضينا
ولا الغدُ يسرِقنا من حاضرنا
الآن آن لنا أن نكون!
يقول: هاتِ يَديكِ، أودِّعُ مامضى
هات يَديكِ، أولَدُ من جديد .. هاهنا،
فلا قَبْلَ قبل يديك،
ولابَعْدَ بعد يديك!
تقول: ليتَ الحياةَ تعودُ إلى بدايتها،

فأعود إلى بدايتى ..
لأحمل حبك إلى نهايته،
وإلى نهايتى ..
فلا قَبْلَ قبل حبك،
ولابَعْدَ بعد حبك!
يقول: تعالى معى .. معانُعيدُ حياتَنا صِفْرا
أوّلُها: حُبُّنا
ثانيها: حُبُّنا
ثالثُها/مِئتُها/ ألفُها: حُبُّنا
ما قبل آخِرِها: حُبُّنا
آخِرُها: حُبُّنا
مابعد حُبِّنا: موتُنا
مابعد حُبِّنا: لاغيرَ موتنا!
تقول: يا حبيبى، فانسَ حياتنا الأولى،
وانسَ الوداع
وانسَ كلُّ الهديلِ، وانسَ الإيقاع
وكأنَّ كلَّ ما كان قبل الآن
ما كان!
يا حبيبى،أنتَ، منذ الآن، أنا ..
وأنا، منذ الآن، أنت!
أنتَ، منذ الآن، لى ..
وأنا، منذ الآن، لك!
ويختلفان على من يدخل أولا
هواء المنام!
يختلفان، ويسقط المطر فيرقُدان،

وعلى موسيقى المطر، ينام العاشقان..
فوق الغمام! ..

هَلْ أكـوُنُ مُذْنِبَا؟

هل أكون مذنبا، حين أختار الموت فى حبك
كى أحيا؟
هكذا, أنا بك حيٌّ، ودونك ميّتٌ..
فأنا أنت، وأنت أنا
وأنا وأنت، معا،
نختلق من الموت حياة!

هل أكون مذنبا حين أراك بعينٍ
لا ترى غيرك؟
فحين ألقاك، أختلس من الموت
تلك اللحظات
كى أحيا بها فى حضورك،
ثم أغدو كما كنت،
فى غيابك، ميتا!

معك يصبح اللا شيء كل شيء،
وبدونك كلُ شيء لا شيء !
أرى عدما حين لا أراك،
فماذا أرى إن لم تكن أنت
ما أراه؟

أحبك, ما حيا القلبُ حياة،
وهل بالحياةِ- دونك- حياة؟ ..

قَصِيدَةٌ، بِعَينِهَا، عَنْ عَينيهَا

جاءتنى حبيبتى يوما فقلت لها:
أودُّ أن أكتبَ فى عينيكِ شِعرا،
هاتِ عينيك .. أكتب قصيدة!
جرّدتُ من عينى بَصَرَها
جدّدتُ من عينِها بَصَرى
رأيتُ السماءَ عارية،
والليلُ يكسوها ليلة جديدة ..
رأيتُ نجمة، حافية تمشى
على الثَرَى، وحيدة ..
وعُصفورا ضائعا يَنقُبُ عن وطنٍ
فى الممرّاتِ البعيدة ..
وأنا أقفوُ فى الزنابقِ والكواكبِ
آثارَ المعانى الشريدة ..

قلت لليّلِ: سأنامْ،
فهاتِ الحلمَ كى أحلمْ!
قال: هيتَ لكْ ..
وأوقدتُ قنديلى، واتّكأتُ
إلى جدارٍ وهمىّ .. ونِمْتْ!

طوبى؛ لِمنْ يحلُم ..
فما البالُ والحلمُ عيناها؟
فَطوبى لعينىّ
ما أبصَرَتْ عينيها!

بين سطورِ أسطورةٍ قديمةٍ، خلفَ الغبارِ،
كانَ القمرُ _لؤلؤة منسيّة_ يعزفُ
أقصوصة من الغزلِ الجاهليِّ فى حوريةٍ!
قلتُ له وهو الإلهامُ لمن لا إلهامَ له:
دُلّنى على بحرٍ مرمرىّ
لم يقطفْ الحبرُ يوما كلماتِهِ
قال: أكُلُّ خمائلِ الأشعارِ لا تَكفيك؟
قلت: بئسَ السنابلُ الأموات ..
أأُحيِىَ شِعرا من عِظامٍ ورُفاتْ؟
قال: وما يُعجِزُ شاعرٌ، مثلك، أن يخلُقَ بحرا؟
قلت: عيناها!
عيناها وحىٌ، يُسقِطُ الكلماتِ شهيدة ..
فكيف أكتبُ، وكلُ الكلماتِ فقيدة؟
قال: وأنا أخشى على الشِعرِ من وحيِك
فاخرجْ من الحلمِ، وإلا قتلتُك!
قلت: لن أخرجَ من الحلمِ، مادمتُ حيّا ..
فأغرقَنى فى بحرٍ من الحبرِ، ومُتُّ!
وتوارى فى البرارى،
وسط ضبابِ الأبديّة ..

وايقظنى موتى فى منامى من منامى!
وانطفأ الحلمُ، حين نامَ الليلُ
على وسادةِ صُبحٍ فاترٍ،
كى يُعيدَ الكرّة من جديدٍ
فى ليلةٍ أخرى،وليلٍ جديدٍ ..

يُعيدُنى إلى أولِ الحُلمِ،
فأرجعُ لأنامَ،كى أحلمَ .. فأموتْ!
وارجعُ أخرى .. وأموتْ!
وأرجعُ أخرى، وأخرى،
وأخرى وأخرى وأخرى .. وأموتْ!
بعد كل كرّةٍ،
يتوارى القمرُ،
ينطفئ الحلمُ، ينام الليلُ،
يصحو الصباحُ، ويكتبون:
شاعرٌ يموتُ غرقا فى بحرِ قصيدة!
بعد كل كرّةٍ،
أموتُ أنا فى خِضَمِّ ذات الحلم،
وأُرثَى فى كل جريدة!
فكيف أنجو من عينيها؟
من ذاك الحُلم الذى أموتُ فيه،
فى كل مرةٍ أحلمُ به، ولا يموتُ فىّ!
كيف يُلدغُ حالمٌ من حُلمٍ مرتين؟
وأكثر من مرتين؟
تبّتْ يدُ الأحلامْ!
خرجتُ من الحلمِ، أصرخ:
يا عيون حبيبتى؛ أنقذينى،
من عيونِ حبيبتى!

وغدا اليوم غدا وجاءت تسائلنى:
أما كانَ الأمسُ كافيا للقصيدة؟

قلت: كلُّ الأشعارِ مُلحِدةٌ ... مادامت عيناكِ العقيدة
كلُّ القصائدِ عَاقِرٌ ... ما دامتْ عيناكِ الوليدة!

حَنِينٌ وكِبْرِيَاءْ

وفى الطريقِ التقينا .. تراشقْـنا النظرات،
وانصرفنا .. كالغرباء!
تعرِفُنى وأعرِفُها
لكن الدروبَ تَجاهلتْـنا،
وتلاعبتْ بنا الأهواء
ولم يبقَ بيننا سِوَى دهرٍ،
وهل يجافى الدهرُ الأوفياء؟

كثيرا .. أدركْنا أن: المصيرَ نصيبٌ،
وأنَّ المحبّةَ إهداَء
كمْ تبقَّى من الألحانِ الجليلةِ
لأذكُرَها بالشِتاء؟
وكم من العُمرِ
أيام ولحظات للثناء؟
ففراقُ القلبِ غربةٌ
وهجرُ الروحِ منفى لبيداء،
والحنينُ إليها يؤرِّقُنى
يُعطِّشُنى للرجوعِ،
لكن السبلَ عوجاء
معقدةٌ .. والخطواتِ لاذعةٌ
وكأنَّها ترفضُ اللقاء!
وأنا أبحثُ عن السبيلِ
أريدُ أنْ أرجعَ
لقلبِ الحياةِ و روحِ الجسدِ
ونبضِ الصفاء

لكن .. لماذا يُكابِرُ الكبرياء؟
لماذا يُكابِرُ الكبرياء؟

يا حياةَ الحزنِ؛ فَارِقِينى
واترُكينى للبسمةِ والنقاء
واكتُبى نهايةَ قصّتى والدموعِ،
وارفَعِى جَفنيِ للسماء
و دَعِينى و ليلَ الأسى
أتضرّعُ بالدُعاء
لـربّى, وأستغيثُ بهِ ..كالضُعفَاء .
وهل بقىَ لى فى ثِيابِ الحياةِ
إلاّ الرجاء؟
وأنا !! .. أنـا الأسيرُ قلبُهُ
فى عصمةِ الجَفاء .. متى أعودُ؟
حتى لقلبى، فأحلُمُ بالبقاء!

يا قلبُ، ما حييت، عُدْ إلىَّ
فروحى بدونِكَ جوفاء
فقيرةٌ، والفقرُ للحُبِ مذلّةٌ،
وأنا أكرهُ الأذلّاء..
يا قلبُ؛ عُدْ ..
عُدْ إلى صدرِكَ
وغطِّنِ بألحانِ الغناء
ولا تترُكْ الصَدَأ
يملأُ حياتى بالخَواء،

ولا تُلقِ بكيانى
فى بحورٍ مَلأىَ بلا ماء..
يا قلب؛ عُدْ ..
عُد لربيعنا إن أردت،
أو دعنِ، أنا كما أنا،
بـرحِمِ الشقاء! ..

إيّاكِ والقَلبْ

L3

مَضىَ عشرونَ عاما
وما خشيتُ على القَلبِ،
من سِوىَ حُبكِ، أنْ يتمزّقْ ..
دفنْتُ قلبي في تُرابِ الصمتِ،
فصَاحَ القلبُ: أغرقْ!
نزعتُ الترابَ،
وما وجدتُ سِوىَ
أنَّه إليكِ قد تطرَّقْ ..
فطعنتِهِ، يا حبيبته،
بسكِّينِ الوَجَعِ،
حتي صَارَ الجُرحُ أعمقْ ..
ما طابَ جُرحٌ بالتمنّى،
ولا ذابَ بِعُذرٍيبطنُهُ تملُّقْ ..
في الحبِّ شئٌ،
أبعدُ منْ مُجرَّدِ تعلُّقْ ..
فى الحبِّ فلسفةٌ،
على ضِفافِ الروحِ تتألّقْ ..
هو الحب: قصيدةٌ،
قد يكتبُ الجُرحُ
علي أبياتِها أنْ تتفرَّقْ ..
فإيّاكِ والقلبْ؛ لا تُسقِطيهِ،
بعدَما كانَ في سَمائكِ
طيرا يُحلِّقْ ..
إيّاكِ والقلبْ؛ لا تُجهِضيهِ،
فهوَ في رَحِمِ حبِّكِ

قد تخلَّقْ ..
إيّاكِ والقلبْ ..
إيّاكِ والقلبْ ..

وَطَنٌ ضَائِعْ

رُؤْيَا عَنْ مِصر

يا كاتبى التاريخ: توقّفوا
ويا أيها التاريخ: قِفْ،
إنّى رأيتُ مصر كما لا تطيقُ الأعينُ ..
رأيت مصر ترفع راياتِ الحداد،
وتركنُ رأسَها على أكتافِ
وطنٍ مبتورِ الذراع ..

رأيت مصر تحرق وجهها
كى تسترد حداثةَ وجهها
كلما سقط القناع
تِلو القناع ..

ورأيت جندا يقتلون وردا
كان،كأنّ أشباحا تراودهم
لتسرق وحىَ الحلم فى الظلام،
يختالُ حرا كالمجاز ..
مُداعِبا صغارَ فراشاتٍ
يقفن على حجرٍ من دخانْ ..
ثم يغسلون بنادقهم
من دمِ الورد .. بماءِ الورد
كى يُعلِّموا صغارهم أنَّ:
الوردَ يُعلِّم البنادقَ
كيف تعتنقُ السلام!

رأيت البدرَ مدفونا

فى قِدْرِ فلّاحةٍ،
كانت تُروِّض ليلها الوحشىّ،
وتنتظر مسيلَ الفجرِ
على أبراج الحمام ..
مات زوجُها بالسُكرىّ،
ولها من الأبناء
ما يكفيها لتصرخ:
واااا حرَّ قلباه ..
مَنْ منكم يشترى عمرى
براحةِ ليلةٍ فى المنام؟

رأيت أرواحا تفِرُّ
من وردةٍ فى بطن قنبلةٍ،
إلى قنبلةٍ فى بطن وردةٍ ..
وأرواحا تطير،
حين لا تجد لأرواحها
مِرفأ غير الغمام!

رأيتُ سيدة عجوزا،
على عصا خشبيةٍ، تنام ..
وتحلم بأن ريحا إلهية تعاقبُ
ذرّاتِ الهواء التى اخترقت جِلدَها
حين لم تحجبها عنه خروقُ الرداء!
وأنَّ مطرا يبكى، ويرتعدْ
من أنينها .. ويبتعدْ،

كى لا تُصِبْها سِهامُه
بداء الشتاء،
وكى لا يُذكِّرَها بوَلَدِها
الذى ينام على ريش نعام ..

رأيتُ الأزهر هامِشا،
بين مئات .. هوامِشٍ
تبحثُ عن ورقٍ شاردٍ،
أىِّ ورقٍ .. ولو كان أُقصوصة
مُلقاة فى قَعْرِ سلّةِ مهملات،
يُدلِّلُها .. ويحويها
فتُدلِّلُه .. وتحويه
لِئلّا يسرقَ قلبَه،
أو يُنافِسَها عليه
هامِشٌ آخر وسط الزحام ..

رأيت أحفادَ موسى
يَشُقُّون نهر النيل .. نهرين:
دما، وعظامْ ..

ورأيت الأرضَ تبلعُ
كل ما ينشز، من أشعة الضوء،
عن درب السحاب ..
كان اليومُ ليلين،
لا يلتقيان إلا حين يفترقان،

فى أى مقهى زمنىّ ..
على جزيرةٍ منسيّةٍ خلف ضباب!
ليلين ،كانا لا يلتقيان إلّا،
بلونِ الدمِ فى ذئبِ السرابْ!

يا كاتبى التاريخ: توقّفوا
ويا أيها التاريخ: قِفْ،
إنّى رأيت جغرافيا الزمان قد تغيّرت ..
فلا الزمانُ هو الزمانْ
ولا المكانُ هو المكانْ
لم يَعُدْ للياسمين خارطةٌ
غصن الزيتون/
عيد الربيع/ والريحان ..
سنابل القمح/
الأهرامات الثلاثة/
والإنسان، الذى كان إنسانا،
قد كان!

رأيت تمثالا لملِكٍ فرعونىٍّ ..
كان يتّخذ الطيرَ خدما،
صار الطيرُ يتّخذ من رأسه
عُشّا للمنام ..
ومعبدا .. كان لكاهنٍ
يُقيم شعائر الخلود فيه،
صار مسكنا ليليا لِـجانٍّ،

يأتيه ..كى يتعلَّم كيف
يرسُمُ زمنا وهميا، يحيا به،
أو وردة يُقدِّمُها قُربانا
لملكتهِ الجانّةِ على مأدُبةِ عَشاءٍ،
كى تسقط فى الغرام!
ورأيت نقوشا زخرفية على
حجارةٍ باليةٍ وجداراتٍ مهترئةٍ،
لو لم ينسَ ناحتُها
أن يكتب فى وصيته:
كلُ من يمرُر علىّ، مُخلَّدٌ إلى الأبد ..
لما كان المارّ الوحيد والخالد الوحيد
هو الغبار!

رأيتُ شهيدا يُلملِمُ عظامَه
ويعود، بما قد لملم من حطامه،
أدراجَه، كى يُذكِّرَ مُودِّعيه
بما قد نسوا من شرائع الوداع ..
هناكَ، فى مهبِّ الصدى
حيثُ لافتةٍ ..كُتِب عليها:
هنا .. مدن الأحياء،
فاحترس، احرق ضميرك تخترق!
كان يسأل نفسه :
ماذا يُضير ميتا إن حُرِق؟
إن أُغرِق أو شُنِق؟
ماذا يُضير؟

كان الصدى ينهاه ..
يحُثّه على الرجوع،
فيُصِرُّ على المسير أكثر ..
كان يُصِرُّ على المسير أكثر ..
رأيت الشهيد يعود
إلى المهدِ الأول ..
فيلتقى بقاتِله، يطاردَه
عند ميدان الموت، ويقتلَه،
فيصيرُ القاتلُ شهيدا ..
ويصيرُ الشهيدُ هو القاتلْ!

رأيت صغارا يشترون،
من امرأة بلا هويةٍ، هويتهم ..
ويحفرون على الرمل أسماءَهم،
أفقية ثم عشوائية ثم أفقية
كى يحفظوها عن ظهر قلب!
كانوا صغارا .. لا يدركون أن:
ذاكرة الرمل حِرباء ..
لن تتّسع إلا لتضيق ..
وأنها، وإن اتّسعت،
فلن تتّسع لأكثر من شئٍ واحدٍ ..
وأن الشئ في ذاكرة الرمل
لا يحتملُ مطرا، ولو خفيفَ الظلِّ،
أو عاصفة، من هواء أو غبار،
أو وطأَ قدمٍ من أقدام الغرباء ..

ليُنسى!
صغارا .. كانوا لا يدركون أن:
الرمل حين ينسى أسماءهم،
هم أيضا، سينسون ..
وينسون!

رأيت رِجالا يُقدِّسون
أجسادَ نساءٍ عارياتٍ ..
يسطعنْ في الليل، كنجماتٍ
يُشعِلنْ النار في بقايا الموتِ
من ريحٍ ذبيحْ ..
فاتناتٍ .. يرقُصْن كخيلٍ
مُدلّلٍ على أوتار نايْ،
النايُ يُضفي على الشعر
شاعرية وجمالا،
في أُمسيةِ غزلٍ صريحْ ..

رأيتُ لصوصا يختلسون
الله، من قلوب من يعبدون الله،
كي يحتكروا الله في الأرض!
والناس يخشونهم كخشية الله
أو أكثر!

رأيت عبيدا يخلقون آلهتهم،
كي يتحرّروا!

فينقلب الإلهُ، تلو الإلهِ، طاغية،
فينقلبون ثُوّارا، كى يسلُبوه
ترخيصَ الألوهية الذى
يفقد صلاحيته بتاريخ الطغيان!
رأيت لكل إلهٍ عبيدا
يثورون على من يثور عليه
من عبيدِ إلهٍ آخرَ!
كان عبيدُ اليومِ ثوارَ الغد،
وثوارُ اليوم عبيدَ الغد ..
إلى غدٍ .. يأتى، فيستويان:
عبيدٌ هم العبيد، وعبيدٌ هم الثوار
فى زمنٍ : فيه يتفقان على إلههم!
أو إن شئت قُلْ؛ طاغيتهم،
إلى أبدٍ: لا حرية فيه لغيرهم ..
فالحرية: ثورةٌ فى أرضٍ
لا أرضَ فيها للثائرين!
والثائرون هم الأحرار،
وقليلون هم الأحرار .. ونادرون!
فالحرُ فى هذا الزمان: إما مُقيّد،
وإما منفىٌّ خارج الديار!
في زمنٍ: فيه شهوةُ الطغيان
نرجسيّةٌ، لها لذَّةُ القهوة
ونشوة الإنتصار!

رأيت طفلا، بوجهٍ من غبار

وجسدٍ ترتديه قمامةٌ تبيضُ
ملبسَه الذى يرتديه، يبيعُ
ياسمينا لعابرين، لا يدركون
غير أن طفلا كهذا ليس إلا
جُرذا يُشعُّ رائحة العفنْ ..
عابرون لا يُحسّون بوخز
وطنٍ يُسئ إلى طفلٍ
لا يعرف أصلا معنى وطن!
طفلٌ يبيع الياسمين
كى يشترىَ كِسرةَ خُبزٍ،
يُقاسمها، وطفلا
لاجئًا من بلاد الشام!

فيا كاتبى التاريخ: توقّفوا
ويا أيها التاريخ: قِفْ،
إنى رأيتُ ذلك كلَّه، وأكثر
من ذلك كلِّه رأيت ..
يا كاتبى التاريخ: توقّفوا،
ريثما نُشفى من وهَجِ الجُرحِ
على أرضنا ..
فماذا سنجنى من التاريخ فى غَدِنا،
وحاضرُنا جريحا؟!
التاريخ منا .. والتاريخ لنا
ولدينا ما يكفى من جراحٍ
قد تسجُن التاريخ فى أوجاعنا ..

فيا كاتبى التاريخ:
لا تُسجِّلوا فى التاريخ جِراحنا،
كى لا تسجُنوا التاريخ فى أوجاعِنا!

إنى رأيت ذلك كلَّه، وأكثر
من ذلك كلِّه رأيت ..
فتوقّفوا .. وتوقّفوا!
يا كاتبى التاريخ: توقّفوا ..
ويا أيها التاريخ: قِفْ! ..

وَطَنٌ ضَائِعْ

ميدانٌ، وميدانْ!
ميدانان وفكرتان،
ظاهِرُهُما إتفاقٌ على أنّ:
اختلافَ الفكرِ ولاء ..
وباطِنُهما اتّفاقٌ على أنّ:
اختلافَ الفكرِ عَداء ..
وغيرِ الاتفاقِ والاختلافِ
أشياءٌ .. وأشياءْ؛
من بينها: احترامُ الرأيِ غباء!
وهذاالـأخى؛
ليسَ بأخى، ولستُ أخاه،
تسقطُ أخوةٌ،
رِباطُها سَيفٌ، ومبلغُها عَداء!
أبونا واحدٌ، وطنٌ
قد هَرِمَ قبل النماء
وأمُّهاتُنا مِئات .. أفكار
وأدتْ أخوّتنا،
فصارتْ تحتَ الترابِ هباء .
كنا، وما عُدْنا ..
صِرنا،كأنّا من قبلِ ما كنا،
صرنا عبيدا للكذبِ
وأسرى للغباء!
كيف صار وطننا قبرنا؟
وكيف ندرك كيف صار وطننا قبرنا؟
والحيُّ فينا، إن بقى حيا،

ميتُ الحلم!
هل يدرك الجانى آخر الأحياء؟
يا ميِّتى الأحلام:
انهضوا من موتكم،
قوموا من نومكم ..
ما عادَ يكفينا حُلمٌ بالوطنْ ..
ما عاد!
فاهجُروا الأحلام، لنا الكبرياءْ .
كفَانَا من الأحلامِ، ما حلمنا
كفَانَا من الأحلامِ، أنْ حلمنا،
لنا الكبرياءْ ..
آنَ لنا أنْ نرسُمَ
على أرضِنا الوطن،
لم يَعُدْ وقتٌ للرجاءْ .
سَيصيرُ وطننا إنْ أردنا، كمَا أردنا
وسنَحيا والوطنْ،
فليسَ لنا من دونِ الوطنِ بقاءْ .
حتى وإنْ لمْ نَكُنْ فى حُلمِنا مَعَا،
سَنكونُ فى وطنِنا سوَاءْ .
سَنكونُ فى وطنِنا سوَاءْ ..

طِفْلٌ فى رَحِمِ الزَمانْ

طِفْلٌ فى رَحِمِ الزَمانْ

أولُ العمرِ .. صرخة،
ولكل أولٍ .. بداية!
فأين البداية؟
هناك: حيث حياة، لا تنتهى بموت!
يقولون: لا شيء لا نهاية له ..
أقول: حتما ستنتهى،
وبلا موت، لكن .. بصرخة!
صرخة طفلٍ ..
سقط من رحِمِ أمه هنا ..
يسألون: ما هذا الـ هُنا ؟
هل هو بداية بداية؟
أم بداية نهاية؟
أم هو النهاية بعينها؟
أقول: هُنا ثمة شيء غريب ..
هنا؛ صرخة القَدرِ من قسوة القَدَر .
هنا؛ صرخة ضياع الأمل والحلم المُنتظَر .
هنا؛ صرخة قلب صار بلا حبٍ كالحجرْ .
هنا؛ صرخة فقيرٍ قَتَل يومَهُ انتظارُ فتات القوت .
هنا؛ صرخةُ موتٍ من فزَعِ الموت .
هنا؛ صرخة مُذنبٍ بَكَى ذنبا، وعنه لم يرجع .
هنا؛ صرخة مسلمٍ لآذانٍ لم يُرفَع .
هنا؛ صرخة راهبٍ لأهواء نفسه لم يمنع .
هنا؛ صرخة شهيدٍ مات غدرا ، وعينُهُ على وطنِهِ تدمع .
هنا؛ صرخة صدقٍ على ألسنة الصدق صار يلذع .
هنا؛ صرخة صبرٍ من الصبر بدا يجزع .

هنا؛ صرخة حقٍ لكلمة الذل صار يخضع .
هنا؛ صرخة الصرخة من صرخة من يصرخ هنا!
فـ طوبى لمن يحيا هُنا!
هُنا: الزمان
و ذاك الطفل فى رحِمِهِ يصرخْ .. يستغيثْ:
أخرجونى من ذاك الرحم
أخرجونى علقة قبل أن أصيرَ خلقا آخر
أجهِضوُنى بلا شفقة
فـ موتى حياة، وحياتُكُم موتْ !

ظَاهِرَةٌ طَبِيعِيَّةْ

الساعةُ السابعة:
استيقظَ من روتينِ نومِهِ بلا صخبٍ،
بلا ضَجَرْ..
ارتشفَ قهوتَه في الصباحْ
وغمغمَ بأغنيةٍ لأمِ كلثوم
وفي أروقةِ الجرائدِ تجوّل بالبَصَرْ..
لكن لم يعثرْ له بين الأخبارِ
عن شيءٍ من خَبَرْ..
وكعادتِهِ: خرج من البيت
سارَ على شارعٍ بلا هدفٍ
سقطتْ خُطاهُ على أَمَلٍ
دون قصدٍ أو حَذَرْ..
تهشَّمْ، فغضَّ الطرْفَ ولم يهتمْ
ولم يبكِ ولم يغتمْ،
ولم يندُبْ قَدَرَهُ للقَدَرْ..
فكم من أملٍ له غَدَا
كفتاتِ البلَّورِ وانكَسَرْ!

كل ما كان كان عاديا:
الصيفُ كان يشكو حرَّهُ
يَلعَقُ صَهْدَهُ،
وتعُضُّ على أناملِها الشَجَرْ..
والشمسُ كانت نائمة
على سريرٍ من حَجَرْ..
والعابرونَ على الطريق

يمُرّون كما الموسيقى الناشزة
على وَتَرْ ..

كل ما كان كان عاديا
مشى، بلا وِجهَةٍ، سادرا
لا يعرفُ أى أرضٍ تحملُه ليحملَها
إذا عَبَرْ..
وككلِ يومٍ؛
مشى ومشى .. ثم مشى،
حتى خيّم الليلُ وارتخى،
على كتفيه، وانحَدَرْ..
لملمَ أشلاءَ جسدِه
ثم رجع إلى بيته خاوىَ الجيبِ،
خالىَ الرحْلِ من الثَمَرْ..

وكهكذا كل يوم
لا جديدَ كى يُذكَرْ ..
كان عاطلا عن العمل،
ولم يَكُنْ عاطلا عن الأمل
ولم يُفكِّرْ يوما فى رحيلٍ
أو سَفَرْ..
كان بسيطا، لا يُسرِفُ
فى أحلامِه:
لم يحلمْ ببستانٍ أمامَ بيته
وصوبَ عينِه كلما نَظَرْ..

ولا بجاريةٍ تُقَلِّم أظفاره
ولا بحصانٍ يُداعِبُه
يُدَلِّكُ عُنُقَه بالمَطَرْ..
كان نرجسيّا يحبُ الحياةَ
إذا ما سالَ عليه طيفُها
وانهَمَرْ ..
كان يُسهِبُ فى احتمالِ الليلِ
إذا بالفجرِ ما ظَفَرْ..

كل ذلك كان،
فلا فجرٌ أتَىَ يَمُدُّ له يدا
ولا الليلُ انصَهَرْ ..
ومن فرطِ ما كان آملا، يَئِسْ
حتى صار لليأسِ
فى جسدِه مَقَرْ..
وهل عسى من اليأسِ مَفَرْ؟
لا مَفَرْ!
هل يخنعْ؟
هل ينسى كما ينسى البشرُ
فى بلادنا أنهم بَشَرْ؟
أم يغضبْ؟
ويُجزَى كما يُجزَى الغاضِبُ
فى بلادنا:
من ماءِ البحرِ يشربْ؟
إذا ما انتَظَرْ!

لم يغضبْ
بلْ لأحلامِهِ اعتَذَرْ..
ولم يرَ فى الحياةِ سببا ليحيا

فانتَحَرْ! ..

رِسالَةٌ مِنْ خَلْفِ القُضْبانِ

هنا، خلفَ قضبانِ حاضرِ
محشُوّةِ بزيتٍ محترق،
بين ليلٍ يمضى فى سجنٍ
وسجنٍ يمضى فى ليلٍ،
نمضى..
ولا نبصرُ غيرَ أسمائِنا
على قبورٍ، ربما تكونُ مصيرَنا!
نمضى..
ولا نسأل: كم مَضَى من الوقتِ؟
أو كم تبقّى؟
فليسَ فى الوقتِ مُتَّسعٌ
من الوقتِ كى نغرِسَ رؤوسَنا،
كالنعامِ، فى رمالِ الذاكرة!

هنا، فيما تبقّى لنا
من ماءٍ فى الصخرِ،
و من عشبٍ يابسٍ
على كفِّ حجرٍ يائسٍ
من إنتظارِ قطارِ أملٍ
لا يجئُ،
نُصفّي أرواحَنا من شوائبها:
ضجرِ المكانِ/ كراهيةِ الظلام/
حُمَّى الحنين/
والإفراطِ فى نثرِ الإحباطِ
على رُقعةِ الأمل!

نرسمُ وقتَنا كما نشاء:
في الصباحِ: ننفضُ عن فراشنا
غبارَ اليأس،
ونُرمِّم ما ترمَّل فينا
من أثرِ الماضى
الذى أتلفته سنابكُ الحاضر،
ونُدوِّنُ أحلامنا
على شقوقِ السقفِ
كى لا تَصدَأ!

وفى المساءِ: نُلقِّنُ أشعارَ
أجدادِنا لرضيعِ الصدى
في الحجارةِ،
ونكتبُ كلامَ اللهِ على جِدارِ الليلِ
ولا نعلمُ إنْ سَقَطَ منها
حرفا أو كلمة،
أو إنْ سَقَطَ الكلامُ كلُّه
عن الجدارِ وماتْ!
فلاشئَ هنا .. لاشئَ
غير الظلام!

كم من ليلةٍ، نـِمنا
على وسائد من أملٍ، على أملٍ:
ألّا يُباغتنا، ولو مرة،
رذاذٌ من عاصفةِ ألم

وأيقظنا الألمُ من النومِ
مُعافينَ من الأملِ!
وكم من ليلةٍ، ضاقَتْ علينا
صدورُنا.. وضاقتْ!
وكم من مرةٍ عَجَزنا عن الحلمِ!
كيف نحلمُ فى بلادٍ،
ليسَ لنا بها سوى
رصاصةٍ و قبرْ؟
كيف نحلمُ فى بلادٍ
تزفِرُ اليأسَ وتبصقُ الموتَ
فى وجهِ الحالمين؟
لكنّا ما زِلنا نحلمُ ..
ما زِلنا نحلمُ بالصعودِ إلى الضوءِ
على ظهرِ نجمةٍ شاردةٍ
خلفَ ذرى عتمةِ هذا الفَلَكْ!
فلئنْ ماتَ النورُ فينا،
لن نُبصِرَ النورَ،
وإنْ مرَّ ألفُ نورْ!
ما زلنا نؤمنُ بأنَّ:
الليلَ مهما طالَ،
خلفَ الليلِ، لنا صبحٌ!
إنَّ الصُبحَ لآتٍ،
إنَّ الصُبحَ لآتٍ،
فإمّا أن نحيا كما نريدُ
أو نموتُ الآن ..

الآن .. هنا!

أيُّها الطُغاة الغابرون:
إنّا وُلِدْنا هاهُنا أحرارا،
إنْ تحجبوا الشمسَ عن أبصارنا
فلن تبلغوا خيالَنا!
وما دامتْ أرضُنا تحت أقدامِنا،
لن تكونَ سماؤنا
تحتَ أقدامِكم!

أيُّها الطُغاةُ:
ابلعوا قليلا أصواتَكم
و هَبُوا لحناجِرِنا
فُسحة من آذانِكم،
واسمعوا ما نقول!
ماذا جنينا نحن؟ ماذا جنينا؟
ألِأَجلِ يومٍ واحدٍ حريةٍ
نَدفعُ عُمرَنا سَجنا؟
هل صارَ جُرما أنْ نطلُبَ السلامْ؟
أم كنا على خطأٍ حين رفضنا
السلامَ مع البنادق؟
فهل صارَ للبنادقِ ألسِنةٌ،
تُترجِمُ السِلاحَ إلى سلامْ؟
أيُّها الطُغاةُ:
لا نريدُ سلاما، يُلَجِّمُ أفواهَنا

ويُحرِّرُ أفواهَ المدافعِ والرصاصِ..
تبًّا للسلامِ؛
إنْ لم يحملْ السلامَ إلينا!
فافعلوا ما شئتُم
وخُذونا حيث شئتم
إلى دربٍ/ إلى سجنٍ/
إلى أرضٍ/ إلى منفى،
افعلوا ما شئتم،
فلنا غدنا ولكم غدكم!
ولنا على هذه الأرض
ما ليس لكم..
لنا وطنٌ من الفردوس
ونسلٌ من أملْ
وقصائدُ، لا تخلو
من عاشقٍ يبكى على طللْ!
لنا شمسٌ من رخام،
وسماءٌ من اللازورد..
لنا بحرٌ من الفيروز،
ومقهى من نهاوند..
ولنا فى الشعرِ حياةٌ غير الحياة..
لنا ما كان وما سيكون،
وما لنا لن يكون لكم
ما دُمنا هنا!

أمّا الموتُ: فقد سَئِمنا صورته،

ومَلَلنا شهوةَ الأحياءِ فيه،
فما أكثرُ الموتى على قيد الحياة!
إنْ كان لابُدَّ لنا من موتٍ
فدعونا ننتقى موتنا
كما ننتقى ورد المائدة،
إن كان لابد لنا من موتٍ، فليَكُنْ بغتة،
وليَكُنْ موتا هادئا
كنومٍ فى بيتٍ من الطينِ
على خريرِ رصاصةٍ
أو طنينِ قنبلةٍ تعزفُ كالنايِ
تحت جناحِ دبابةٍ،
تمدُّ يَدَها خلال النومِ خِلسة
بالموتِ، ما بين حُلمين!

لنا غدنا ولكم غدكم
فافعلوا ما شئتم!
لئِنْ علَّقتمُ رقابَنا على مشانق،
ستصير رقابُنا
لمن خلفِنا بيارق!
فاخلعوا عن وجهِ الوطنِ أقنعتكم..
أيُّها الطغاة؛
اخلعوا أقنعتكم،
وانزعوا الموتَ من أجسادِنا
وارفعوا الغيمَ عن سمائِنا قليلا
نريدُ أنْ نصرخَ:

إنّا هنا .. إنّا هنا
إنّا ما زلنا هنا،
وما دُمنا هنا،
فهذى الأرض لنا
ولن تصيرَ أرضُنا ثكلى
فما زالَ فى بطنِ بلادِنا
وطنٌ، لم يَمُتْ،
ما زالَ فى بطنِ بلادنا
وطنٌ، لم يَمُتْ!

عَابِرُ سَبيلْ

أحياءٌ أمواتْ

ما الحَيَاةُ؟ وما الموَتْ؟
لستُ أعرف .. عن كِليهِمَا غريب!
كلُّ ما أعرِفُه هو أننى لستُ حيّا بِمَا يكفى لأكونَ حيّا،
ولستُ ميتا بِمَا يَسمحُ لى أن أكونَ ميتا ..
لَسْتُ أعرف!
أتَسَاءلُ كثيرا وأتَجَاهَلُ حينا ولا أجرؤ الحينَ الآخر ..
أسقطُ فى جَحيمِ تِلكَ الفِكرةِ الظلماء،
فأثورُ على عقيدتى العوجاءِ
وأخرجُ على بصيرتى الجوفاءِ،
فأسيرُ فى حواريها القاصيةِ هائِما على وجهى،
لا أرى أثرا ولا أهتدى إلى طريق
كلُ الطرقِ تؤدى إلى شئٍ واحدٍ .. لا شئْ!

مرة .. أتاهَنى عَنانى، فأرسلَنى إلى طريقٍ عبوسٍ،
وأرسانى وسطَ صفوفٍ متكاثرةٍ متناثرةٍ
من أناسٍ ليسوا كالأناس:
ذوى أفواهٍ مُلجّمةٍ، وأعينٍ مُصفّدةٍ،وآذانٍ من حديدٍ صَدِئْ،
وعلى أعناقِ أربعةٍ منهم نعشٌ ..
لكنْ كلٌّ يُغنِّى على ليلاه ..
كلٌّ يُحصى خُطاه
دون أن يُعير للنعشِ أىَّ انتباه ..
كنت أتساءل: من ذاكَ بالنعشِ؟ ومن هؤلاء ؟
وأقول: إن كان هؤلاء أحياء، فهو ميت، وفى عَكسِ ذلك احتمال!
فالميتُ؛ ليس سِوى حىٌّ تجرّد من رداءِ الإحساسِ بالموت ..
إذْ كيف يُمكِنُ للأحياءِ أن يظلّوا أحياءإن تجرّدوا من إحساسِهِم بالموت؟

وكيفَ يدرِكُ هؤلاء الأصنامُ، وإن قصّرَ الوصفُ فى وصفِهِم، حقيقةَ ذلك المسجونِ فى نعشِهِم .. وهم صُمٌ وبُكمٌ وعُـميٌ، لا يدركون؟

كيف يَعى كُنَهَ شئٍ من يحملُه دون أن يراه؟

فمَثَلُه كمثل الحمار يحمل أسفارا ..

أتسَاءلُ ولا أدرى لِمَ أتساءلْ، فالسؤالُ جوابُ السؤال!

لحظاتٍ سَرَقوا بها ما تبقّى من الطريقِ

وصَارَ سَجينُ النعشِ سجينَ قبرِهِ،

بَعدَما ألقوُا عليهِ تحيّاتِ الوَدَاعِ اللاذِعَةَ، وانصَرَفوا ...

حينَها أغرقَتَنى بَصيرتى فى بُحورِ العَنَانِ العميقةِ،

فمرّة أرى نفسى الصَنَمَ، ومرّة السجينَ، ومرّة أراها الصنمَ يحملُ نفَسَهُ فى نعشِهِ ثم يَدفِنُه فى قبرِهِ ويرجِع ..

عن الموتِ وعن الحياةِ ..

عن كلمتين، إنْ لمْ يَكونا كلمة واحدة،

لا يختلفان ولا يتخالفان!

فالموتُ .. بحروفِهِ الثلاثةِ:

ميمُ: مُنتظِرٍ بالمنامِ لِمنونِهِ المـُنتظَر،

واوُ: وداعِ وردةٍ لواليها ووادِيها ووريدِها الورديْ،

تاءُ: تائهٍ توفّى وتوارى فى تابوتِهِ بعدما تَهمّد ..

كما الحياة مع اختلافِ حروفِها الأربعة:

حاءُ: حتفِ حنينٍ حين حنَّ لحُضنِ حنانِهِ،

ياءُ: يومٍ لن يَدومَ، ويدٍ يَبسَتْ بعد أنْ يَفعَتْ،

ألفُ: أمسٍ أمسى وأرضٍ أُخرِسَت وأُخمِدت أجراسُها عن الأنين،

هاءُ: هؤلاء حين هووا فى هاوِيةِ هادِمِ هويّتِهِم ..

لا أحدَ يُدرِكُ الحياةَ من الموتِ، أو المَوتَ من الحياةِ .. سِوَى الأموات!
وأنا، وإنْ كُنتُ مِمّن يزعُمونَ أنَّهم أحياء،
لا لشئٍ سِوى أنَّنى لَمْ أكُنْ يَوما من الأموَاتِ،
أرى أننى لَستُ حيّا ولستُ ميتا
لكنّنى سجين ..
أنا سجينُ فِكرةِ الحياةِ، على قيدِ الموتِ أحيا!
ولئنْ سألتنِ عن المَوتِ، سأقول:
لا أعرِفُه، فلَسْتُ أذكُرُ أنّى حادَثتُهُ قَبلا،كُلّ مرّةٍ كُنتُ أراهُ فيها كانَ يتغافلنى قاصِدا غَيرى،ويَتجَاهلُنى إلى سواى ..
فقط؛ كلُّ ما أريدُهُ مرّة واحِدَة أُحادِثُهُ فيها، فأخبِرْك ..

عَابِرُ سَبِيلْ

مرآةٌ، وشبحٌ يَنسِلُ من نفسِهِ شبَهَا ويسألْ: هل هذا أنا؟ ..هكذا خلعتُ ملامحى وصفاتى،لأتنصّلَ من خارجى داخلى،وأبرزَ داخلى خارجى،كى أُجسِّدَ لنفسِى صورة مرئية،عاريةَ المجازِ، تُشبِهُنى وأُشبِهُها:هل هذا أنا؟ سَألْتُ،ولم يأتِ ثمَّ سَنَا برقٍ فيُلقى الجوابَ على كتفى،لم أرَ إلا شجرة، تقفُ على دربٍ ينسابُ من نهايةٍ،لم أُبصِرْ لها بداية ..

شجرةٌ بازغةٌ فى أبديةٍ صحراءْ، تنزِفُ على أرضِ ظلالِها ورقاتِها، واحدة واحدة، وتهميها ريحٌ باردةٌ من جهةٍ إلى أخرى!

كلُّ شئٍ كان يُنذِرُ بالخريف،خريفِ القلب؛ أن تموتَ الأشياءُ وتولدَ الذكرى ..

ما أبرأَ القلب حين يحبُ!

وما أقسى الحنين حين يُراوِدُه!

ألا ليتَ قلبى حجر،

لا يُحِسُّ بشئٍ

لا يحِنُّ إلى شئٍ

فلا ينسى ولا يتذكّر!

كنت أمشى فوق ظِلّى على غير هُدى،

أُفتِّشُ فى الدربِ عن خُطاى بين الخُطى

التى لم تدفنْ فى الأرضِ أقدامَها ولم تذهبْ سُدى،

كحبّاتِ سمسمٍ سقطتْ فى رملِ المدى،

كنتُ أهجِسُ: هل يولدُ الربيعُ من بَطنِ خريفْ؟

وكان الدربُ يهُزُّنى،يرفعُنى ويرمينى، يُبعدُنى ويُدنينى، ويقول: فكّر قليلا أو كثيرا,فكّر ثم سَلْ نفسك بعد أن تفكّر؛هل مازِلتَ أنت أنت؟واكذبْ وقُل: بَلَى, أنا أنا, لا سِواَى!

قلت: لا حال يبقى على حاله،فلا أنا أنا ولا أنا سواى!

وكأنَّه لم يبقَ منى غير ما تبقَّى من ورقٍ على الشجرة:

بِضعُ كلماتٍ، بعدُ، لم ألفِظْها
وبضعُ أناسٍ لم تَزَلْ حيّة,لم أفقِدْها
ولم تفقدْ، هى الأخرى، بعدُ،ما تبقّى من كلماتِها,
وشئٌ من الحياةِ يكفينى لأحياما تبقّى لى من الحياة ..
لا أحبُ الموتَ،يُربّى فى الروحِ جروحَ ذكرى لا تطيب!
إن كان للأشياءِ أضدادٌ تُعرِّفُها،فليس الموتُ، بل الذكرى، ضدَّ الحياةِ!
فالذكرى: مرآةٌ تعكسُ وجودَ الشئِ من ظلِّه/أثرٌ يُخلِّفُ بصمة على جِدَارِ القلبِ/ وخُطى تتركُ نُدبة ملساءَلها رائحةٌ كرائحةِ البرتقال/هى ليلٌ من الأنين الأبدىّ الذى لا يُفضى إلى نهار ..
أما الموتُ فليس سِوَى برهانا للحياةوقنديلا للذكرى!
من على غُصنِ الحياةِ,تسقُطُ الورقةُ تِلوَ الورقةِ فتموتُ ليولدَ من مَوتِها ذِكرى جديدة،وكل ذكرى تسرق من حياتى جزءا وترحل!
رُحتُ ألملمُ ما تناثرَ من قلبى الجريحِ،ورقة ورقة، خلف أوديةِ الريح، لعلَّنى أجدُ لما تبقَّى منى على الغُصنِ غير الموتِ مخرجا،وغير الذكرى ملجأ، فلم أجدْ!
آهٍ لو كنتُ مُعلَّقة،لصددتُ عن لغتى سِهامَ الموت،ولكسّرتُ أجنحته،
فلا يطير
ولا يصير،
لكنْ؛ لا قوةَ فى يدىّ لأرفعَ عن جبينى أقدامَه
ولا حيلةَ لى لأُعجِزُه عن الإيقاعِ بى فى شِباكِه،
فالموتُ يشربُنا ككأسِ نبيذٍ أحمرْ!
ولا مفرَّ من الذكرى غدا ..لا مفرْ!
حين أفقدُ أُناسىَّ
وألفظُ ما تبقّى لى من كلماتٍ،
أصيرُ مُجرّدا من الحياةِ،

فإنْ لم يتبقَّ فىَّ أىُّ شئٍ حىٍ،
ستنتهى الذكرى بموتى،
وأكونُ فى الدنيا كعابرِ سبيلٍ
ضلَّ الطريق! ..

نَلتَقِي بَعْدَ قَليلْ

أُسْدِلَ السِتَارْ

وافترقْنا _أنا ولحظةُ الفرحِ_ وانطوىَ الظلامُ
على العيونِ وأُسدِل السِتَارْ .
ولمْ يبقَ سوى نفسى الباهِتةُ،
كأشلاءٍ مُبعثرةٍ، مُصلّبة على الجدارْ،
و أسألُ نفسى: منْ أنا؟
هلْ أصابَتنى لَوثةُ دُوارْ؟
أنا ما عُدْتُ أدركُ من أنا،
مُلجّمٌ قلبى بسلاسلِ الحصارْ .
أسافرُ _ونفسى_ إلى الأحزانِ
أسافرُ بغيرِ قرارْ .
أرحلُ بعيدا إلى بعيدٍ ..
حيثُ تَجهلُ الأنوارْ
وتغفوُ فى ظلالِ الجُدرانِ و الأسوارْ
أرحلُ بعيدا عن بعيدى ..
حيثُ تَذبُلُ الآثارْ
فأينَ الملاذْ؟
أينَ المَلاذُ إنْ لمْ يكُنْ منَ الحزنِ فِرارْ؟
أُحملِقُ بعينى، فأرى فى اللاشيء شيئا
يُغيِّرُ المَسَارْ
وأسمعُ للصمتِ صَوتا،
وفى الصمتِ تجتمِعُ الأقدارْ
وتتخطّفُنى، فى مَحافِلِ كَواكِبِها، الأسرارْ .
وفى الحزنِ ليلٌ عقيمٌ لا يَلِدُ أقمارْ
إلى متى سيظَلُّ يُرهقنى الإنتظارْ؟
لقمرٍ يكسرُ ظُلمَةَ الليلِ

أو شَمسٍ تنثِرُ ضوءَ النهارْ؟
إلى متى أبقى ذليلا
كَمَنْ يَرجوُ الموتَ ساعةَ الاحتضارْ؟

يا حزنُ؛ حَسبُكَ منى، قد مَللتُك ..
يا حزنُ؛ مَلّنِ أو أرجِنِ إلى غيرِ إشعارْ
أو بعيدا عن نفسى انتظرْنى ..
انتظرْنى خارجَ الديارْ
علَّنِى أصرعُكَ،
فأصيرُ حُرّا من الأحرارْ،
وأرحلُ _أو أعودُ_ لأغنّىَ
وأعزُفَ فى الفرحِ قصيدة على الأوتارْ .
فيا لَحظَةِ الفَرحِ إلى أنْ نلتقى:
لَكِ منِّى أجمَلَ تِذكارْ! ..

انتَهَى كُلُّ شَيء

انتهى كل شيء! أقول لنفسى،
ها أنا الآن وحدى،
تراودنى أشباحُ من كانوا هنا،
كأنّ الذاكرةَ خيلٌ، يخطف
العين من ذكرى إلى ذكرى!
فما ذنبُ عينى وقد سَكِرَتْ
بشُرْبِ الدمعِ من وجعِ الحنينِ!
يا من على حدسى مررتم: أين أنتم؟
وإلى أى أرضٍ غير أرضى ذهبتم؟
ولِمَ؟ ..
لِمَ تركتُمونى، وحدى، ورحلتم؟
خُطاكم على الدربِ تحاصرنى،
أنسيتُم؟
أنْ تحمِلوها بعد المسير،
أم أنَّ خُطاكم، إن حملتموها،
ستحرقكم؟

أسائل نفسى كأنّى واحدٌ غيرى
يُعاقبُنى،لعلّ العقابَ يَهدينى!
فهل أنا الآن أنا؟ أم غيرى،
غير من كُنتُه أنا من قبل؟
أم أننى صِرْتُ ميتا
دون أنْ أدركَ أنّى ميتٌ؟
أحقا انتهى كل شيء؟

ربمالم يَكُ أحدٌ غيرى هنا
وربما أنا من لم يَعُد هنا،
وربما هم مثلى فى مكان ما هناك
وفى هُناكِهِم ذاك،
يتساءلون: أين أنا؟ ..

نَلتَقِى بَعْدَ قَليلْ

فى مثل هذا اليوم، قبل عام
كنتُ ها هنا، بين أعناقِ السنديانِ،
أمضى، كأنّى واحدٌ فى اثنين،
أنا وظلّى الشخصىّ،
فوق مُنحدَرِ السبيل إلى الموتِ الإختيارىّ ..
وسألتُه: كيف لنا أن نُدركَ
معنى الحياةِ فى الحياةِ
ولم نرَ الموت من قبل ولم نُجرِّبْه؟
فقال: إذا، فلنَمُتْ قليلا ..ثم نلتقى
وأكملَ المَسير،
ومات .. دون أن يأخُذَ
على الموتِ عهدا
بأن يُرجِعَهُ إلى الحياة،
فلم يَعُدْ ..
ماتَ، ولم يعُـدْ!
ولم أفعل أنا ،
فعُدْتُ، ولم أمُتْ!
ولم نلتقِ!

ومرّ العام، وها أنا ذا ها هنا،
أرى السبيلَ يحملُ لافتة:
إن كنت حيّا؛ فاحترس،
فالموتُ بعد قليل

في مثلِ هذا اليوم، بعد عام:
قد أكون ها هنا، لأقول:
ها هنا كنت،
ههنا بعد الآن قد لا أكون
وقد لا أكون!
فيا ظلِّي الشخصيّ :
إن كنتَ ها هنا،
لنلتقِ بعد قليل! ..

وَصِيَّةْ

أيُّها الأحِبَّةُ: يوما ما سأرحل ..
عن عيونكم، وعن أرضنا،
عن جلدكم، عن رذاذ اتِ حناجركم،
وعن رائحة الفجر فى دروبنا ..
سأرحلْ ..
سأرحل عن حصاركم جسدى،
وستبقى روحى بعد رحيلى
تحاصركم، ولن تملَّ ..
تُناشِدُ الدمعَ فى شُرُفاتِ عيونِكم:
يا دمعَ الأحبّةِ؛ لا تسقطْ ..
فما جدوىَ الدموعِ على من رحلْ؟

سأرحلُ عنكِ يا أُمّاهْ ..
يا أُمّاهُ ؛ لا تحزنى،
فماذا بعد الرحيلِ غير نسيانْ؟
سأرحلُ مِنكِ يا أُمّاه ..
لا تقولى: كان هنا
لا تقولى: كان لنا
يا أمّاهُ قولى: ما كان!

سأرحلُ .. يا أبى،
سيأتى الموتُ، يخلعُ روحى فجأة،
وما نفعُهُ، بلا روح،جسدى؟
لا تقتربْ منه .. لا تقتربْ منى،
ولا تكُن معنا عند الموعدِ!

سأرحلُ .. يا أخى،
فـ اغسلْ فراشى بماءِ الوردِ، ونَمْ ..
للحُلمِ، يا أخى،ذُروةٌ،
إنْ بَلغتَها بَلغتَنى،
إن بَلغتَها بَلغْتَ الألمْ ..
وانتظرنى عند ناصيةِ الوقت
فى قَميصِكَ الأبيضِ،
واكسِرْ سَاعتَك واخنِقْ عَقاربَها،
وانتظِرنِى حين لا تنتظِرنى،
فما بينَ الراحلينَ والوقتِ دَمْ!

سأرحلُ .. يا أختاه،
فـ غنّى اللحن فى الليل، وارقصى
هنا كنا معا، ما مضى،
ولا تتذكّرى .. أن تتذكّرى
هنا ستكونين وحدَكِ، ما بقى ..

سأرحلُ عنكِ يا حبيبتى ..
لقاؤنا اليومَ مطرٌ،
وشذى الريحانِ على العِناقِ دليلْ ..
لا تتركى الياسمين يبكى
رسائلنا فى الحُب بعد الرحيلْ ..
احرقى الياسمينَ،حين أرحلُ عنكِ،
وليبقَ لقاؤنا فى الغدِ حلما،

وليبقَ الحلمُ فى الغد لقاءنا
لا يعرِفُ الُحلمُ مستحيلْ ..
وستعرفين الطريق الى مُستحيلِى،
كلما مرّ بنا الحلمُ ذاتُهُ،
حين لا نحلمُ أننا نحلمْ
حين لا نعلمُ أننا نحلمْ
حسبُنا من الحُلمِ القليلْ!

أيُّها الأحبّةُ: يوما ما سأرحل ..
هذى القضية!
روِّضوا دمعَكُم بكؤوسِ النبيذِ
فى ليلةِ رحيلى القمريّة ..
يوما ما سنلتقى،
وأسألُكم: ما فعلتم بالوصيّة؟
فما سيكون جوابكم؟
عسى ألا يكون أقصى فِعلِكُمْ نيّة!
يوما ما سأرحل ..
فاقبلوا وداعى الآن
ربما .. يأتى الرحيلُ
فأرحل ولم أودّعكم ..
فاقبلوا وداعى الآن
إلى أن يأتى الرحيل! ..